# 20

# كيف حاول الاتحاد السوفيتي التغلغل إلى مصر طبقاً لرواية المهاجر الأبيض

إن السياسة الخارجية للاتحاد السوفيتي في أفريقيا في العشرينيات والثلاثينيات من القرن الماضي تعد من أكثر الموضوعات المثيرة للجدل و المناقشة في تاريخ الأدب. والتفسير الذي قدمة المؤرخون السوفيت حول هذا الموضوع معروف ومشهور . وقد أدلى المهاجرون البيض بدلوهم أيضا في ذلك الموضوع . وللأسف فإن ما في حوزة الباحثين دائرة ضيقة جدا من أعمال ممثلو الهجرة المناهضة للثورة البلشفية ، والمخصصة لتحليل السياسة السوفيتية في أفريقيا . وما يزيد من قيمة هذه المصادر أنها تعكس رؤية المهجر لهذه المشكلة بقدر من التفصيل . ومن بينهم مذكرات «أناتولي لفوفيتش ماركوف» « الثورة والعالم» والمحفوظة في أرشيف « هوفل» الشهير للحرب ( جامعة ستانفورد الولايات المتحدة الأمريكية ) غير أن شخصية هذا المؤرخ غير واضحة وأثارت التناقض بين المعاصرين.

ولد « أ.ل. ماركوف» عام ١٨٩٣ في مركز «شيجروفسكي» «محافظة كورسك» ألكسي أنتوشين كان «ماركوف » حفيد الكاتب المشهور « إ.ل. ماركوف» ، و إبن أخ « ن.ى. ماركوف» ( ماركوف ٢) وهو أحد أعضاء المئة السوداء[٦٢٨] * ، تخرج في أكاديمية « فورنيج العسكرية ، ومدرسة نيكولاييف للفروسية عام ١٩١٤ـ ١٩١٥» . اشترك في أعمال القتال على الجبهة أثناء الحرب العالمية الأولى وأصيب خلالها ، كما كان ضمن المشاركين في الحركة البيضاء ، وخدم في كتيبة الخيول للقائد (ألكسييف) .

٦٢٨ عن مقالة : Как СССР пытался проникнуть в Египет. Версия белоэмигранта، والتي نشرت بمجلة «الأرشيف الشرقى» ، إصدار معهد الاستشراق التابع لأكاديمية العلوم الروسية للمستشرق الروسي Antoshin Aleksey.

* منظمة رجعية في روسيا قبل الثورة – ( المترجم ) .

اضطر ماركوف إلى الهجرة من البلاد كباقي زملائه . وفي فبراير عام ١٩٢٠ إستقل « أ.ل. ماركوف» و زوجته و ابنته في مدينة نوفوروسيسك السفينة «ساراتوف»، التي قامت بإجلاء الجرحى والمرضى من جيش المتطوعين . وقامت السلطات الإنجليزية بتوجيه السفينة إلى « الإسكندرية» . وقد حدد هذا مصير الضابط الروسي ، الذي أقام في «العاصمة الشمالية» لمصر لأكثر من ٣٠ عاماً . وفيما بعد كتب « ماركوف» عن حياته في مصر مذكرات ممتعة للغاية تحت عنوان « في المنفي» . والتي نشرت مقتطفات منها عام ١٩٥٧ في جريدة «الحياة الروسية» في « سان فرانسيسكو».

كما تروى لنا هذه المذكرات المحفوظة في أرشيف « أ.ل .ماركوف » [٦٢٩] ، أنه في البداية ، تم فحص الجنود والضباط الروس داخل الحجر الصحي ، المتواجد بأحد الأحياء التابعة لمنطقة « العباسية» في « القاهرة » ، حيث كانت تتمركز القوات الإنجليزية . و بعدها توجه الروس إلى معسكر الخيام في مدينة «التل الكبير» . وكان «ماركوف» إنسان طموح ومطلع . وكانت حياة المعسكرات لا تروق له . وبات من الضرورى أن يبحث عن مخرج من هذا الموقف العصيب . وسرعان ما ابتسم له الحظ ، وذلك عندما زارت المعسكر زوجة قائد القوات البريطانية في مصر ، الليدى «كونجريف» رئيسة لجنة مساعدة اللاجئين الروس ، وطلب منها الالتحاق بمدرسة السائقين . وبفضل وساطة السيدة «كونجريف» حصل هو وصديقه على دورات تعليمية في اللغة الإنجليزية للسائقين العسكريين . وهنا تمكنوا من الهرب من جحيم المخيم ، وعندها أشرقت شمس حياتهم من جديد . ونالوا إعجاب الضباط الإنجليز ، لذلك الحد الذي أدى إلى إقامة مأدبة غداء على شرفهم . وقّع « ماركوف» عقد عمل لمدة ستة أشهر براتب شهري قيمته ثماني جنيهات ، سُمح له بعدها بارتداء الزي العسكري الإنجليزي .

في ديسمبر عام ١٩٢٠ تم نقل المعسكر من «التل الكبير» إلى « سيدى بشر» وهو أحد أحياء مدينة «الإسكندرية» . في ذلك الحين كان عقد «ماركوف» مع الإنجليز قد انتهى ، وأُرسل إلى هناك مع باقي المعسكر . وفي عام ١٩٢٢ أُغلق هذا المعسكر ، وتم نقل جميع المستوطنين إلى «بلغاريا» وبقى في الإسكندرية حوالى ٢٠٠ روسي من بينهم «ماركوف» وعائلته .

٦٢٩ أرشيف معهد هوفر ( HIA ) كتابات « أناتولى ماركوف « . فصل ٢ في المنفي من مجلد ( مذكرات ) .

حاول «ماركوف» الاندماج في المجتمع المصري. ووضع نصب عينيه هدفاً محدداً وهو العمل كسائق تاكسي، ولكن كان ذلك يتطلب معرفته باللغة العربية ومعرفة جيدة بشوارع «الإسكندرية» التي تقع على إمتداد ٢٥ ميل. وبالفعل تمكن من امتحان إختبار اللغة العربية بعد سلسلة من الفشل وحصل على رخصة القيادة، ولكنه لم يمكث في العمل كسائق تاكسى كثيراً. حيث ابتسم له الحظ للمرة الثانية ورشحه القنصل الروسي في ربيع عام ١٩٢٢ للعمل في البوليس المصري- الإنجليزى، حيث كانت هناك ضرورة لتواجد شخص يتحدث اللغة الروسية.

من وجه نظرنا فإن من بين مجموعة «ماركوف» داخل أرشيف «الهوفر»، فإننا نولى الاهتمام الأكبر لمخطوطة «مذكرات من الماضي». والمجلد الثالث من «ذكريات العمل في البوليس السياسي المصري»، الذي كتبه في «الإسكندرية» عام ١٩٣٤، والذي وصف فيه تفصيلياً ظروف عمله، التي كانت تسير ما بين صعود وهبوط.

في البداية عمل «ماركوف» في شرطة الموانىء بمدينة «الإسكندرية»، وكان من بين مهامه التي كلف بها الحراسة ومراقبة جوازات السفر (كانت الخدمة- كما يتذكرها «ماركوف»، لم تكن بالهينة، إلا أن هيبة الأوروبيين كانت مازالت شامخة، ولكن في بعض الأحيان كان ينتابني شعور بالضيق، خاصةً عندما كنت أتذكر مكانتي السابقة، كقائد في القوات الإمبراطورية الروسية، أما الآن فكنت مجرد عسكري في بلاد غريبة )[٦٣٠].

بعد عدة شهور لاحت لـ« ماركوف» فرصة جديدة، للا نخراط في عمل مناهض للبلشيفية عام ١٩٢٣، والذي عرض علية الاشتراك فيه فؤاد بك- ابن وزير عظيم سابق في تركيا، وكان يشغل منصب وزير الداخلية في عهد السلطان الأخير. وقد أتاح له هذا الماضى إقامة علاقات وثيقة مع بعض أعضاء الحكومة المصرية.

كما أن هناك عاملاً آخر جعل «فؤاد بك» يولي اهتماماً خاصاً للمسألة الروسية، ألا وهو أنه ينحدر من أصول روسية تعود إلى مقاطعة أوسيتيا. وذكَر «ماركوف» فؤاد بك بأوقات الحرب الأهلية، وكم كان «فؤاد» شخصية بارزة في جمهورية جبال القوقاز، كما ذكره بنجاحه في إبرام إتفاق مع «فرانجل». وأشار المهاجر الأبيض «ماركوف»

٦٣٠ في نفس المجلد فصل ٤. « قطع من الماضى». مجلد ٣ «مذكرات العمل في البوليس السياسي المصري» السطر ١.

إلى أن حياة « فؤاد بك» كانت تتسم بالترف ، وحيث إنه لم يبق لديه أي من مصادر الدخل السابقة ، فقد اضطر إلى البحث عن مصادر جديدة . وكانت الأعمال المناهضة للبلشيفية إحدى هذه المصادر ، لكسب المال . وأشار « ماركوف» إلى إنه : « في تلك الفترة في مصر لم يكن هناك أي تواجد سوفييتى حقيقى» (حيث تم قطع العلاقات بين الحكومتين بعد عام ١٩١٧ ) ولذلك فإن تخوف الحكومة المصرية من تقارير « فؤاد بك» حول دسائس البلاشفة يعد «محض إفتراء» ولم يستمر هذا الوضع طويلاً ، ونتيجة لهذا ، هرب كل من « فؤاد بك» وإبن عمه « أرخان بيك » الضابط الطيار التركى السابق في ربيع ١٩٢٤ وبحوزتهم أموال الدولة . وظلا مطاردين ومطلوبين للعدالة . لكن من الطريف أنه من بين هذه القصة هناك معلومة عن « فؤاد بك» قد أغفلها « ماركوف» ، تلك التي تشمل دوره في الأعمال المناهضة للبلشيفية ، وأي تكليفات أعطاها عضو حكومة جمهورية جبال القوقاز السابق للقائد السابق في سلاح فرسان الجيش الأبيض .

بعد فترة وجيزة من إنهيار أسهم « فؤاد بك» أخذت حياة «ماركوف» تنحى منحاً آخر ، حيث أُجبر على ترك الخدمة في جهاز الشرطة ، ذلك لأن ـ المهاجر ـ طبقاً لوجهة نظره : « لم يخف نظرته المعادية للسامية والماسونية» . ففي إحدى المرات قام بإلقاء مقتطفات أدبية تهاجم اليهود بشكل علني ، في حضور مجموعة من زملائه ، والذي صادف أن يكون من بينهم « ستينبيك» «مدير» «ماركوف» ، الذي ينحدر من أصول يهودية روسية ومقيماً بأستراليا ، ونشب بينهم خلاف حاد ترك على أثره «ماركوف» عمله في الشرطة ، وعمل كسائق تاكسي لمدة عام .

في مايو عام ١٩٢٥ عرضوا على «ماركوف» العودة إلى للعمل ، في الإدارة العليا للشرطة «في القسم الذي تأسس من جديد لمكافحة البلشفية» [٦٣١] . ووصف بالتفصيل هيكل البوليس السياسي المصري ،الذي كان يرأسه بشكل فعليّ ، الجنرال الإنجليزى أنسون «العميل البارز في جهاز المخابرات» والذي عمل ما يقرب من العامين لدى إسكتلنديارد «فيما يخص المسألة البلشيفية» . وكان القسم يحصل على صحف سوفييتية متخصصة ومنها : « الشرق الجديد» ، « الشرق الثوري» ، «تجارة الاتحاد السوفيتي والشرق» إلى آخره . بالإضافة إلى كُتب سوفيتية ، تتحدث عن مصر ودول شمال شرق أفريقيا . كل هذا تم دراسته وتحليله بعناية ليكون ضمن الطرق الممكنة

٦٣١ نفس المرجع السطر ٥ .

لتغلغل الاتحاد السوفيتي داخل هذه المنطقة ، وعلاوةً على ذلك ، كان لدى «ماركوف» عملاء، ومخبرون المخبرين ، بما في ذلك داخل محيط المهاجرين الروس ، وتقول مذكراته أنه لم يتورع عن استخدام كافة الوسائل المختلفة ، التي وصلت إلى حد مراقبة المراسلات الخاصة، مما عرضه ، على ما يبدو ، للنقد من جانب بعض ممثلي الجالية الروسية . ورداً على منتقديه كتب ماركوف : «كانت الفكرة التي سيطرت عليّ منذ اليوم الأول لعملي في الخدمة المصرية داخل البوليس السياسي ، هى إحداث أكبر ضرر ممكن للبلشيفية وقادتها ـ الحكومة السوفيتية ، وذلك بأي وسيلة كانت ، ومهما كلفني الأمر وبقدر الإمكان ، وفي هذا المجال كانت كل الوسائل جيدة ، طالما كان عملى يتقدم ولو خطوة واحدة نحو تحرير روسيا من الظلم الأحمر اللعين» [٦٣٢] .

هنا يجدر الإشارة إلى أن «ماركوف» ، كانت لديه الإمكانية للمشاركة في مكافحة البلشيفية . كما يتضح من مذكراته بدأت محاولات الاتحاد السوفيتي الإتصال بمصر في عام ١٩٢٠ . ووصل أول «عميل» للحكومة السوفيتية إلى الإسكندرية عام ١٩٢٣ ، وهو «لازار جليزير» (اليهودى كما أشار ماركوف ) . وهو المحامى من مدينة خاركوف الذي يحمل جواز السفر الفلسطينى . وفي عام ١٩٢٤ إفتتح مكتب يمثل شركة «أركوس» وهى (شركة إنجليزية ـ روسية للتجارة ) وذلك في الإسكندرية، وبحسب تأكيدات «ماركوف» فإن النشاط التجارى لـ «جليزير» : «يمكن أن يوصف بالمتواضع» . ولكن تمثل نشاطه بشكل أساسى في «بدء إقامة العلاقات وتمهيد الطريق لتغلغل موسكو إلى مصر» . وطبقاً لـ «ماركوف» فإن اليهود المحليين كانوا يساعدونه في ذلك الأمر» [٦٣٣] .

كما أشار «ماركوف» إلى أن هناك عاملاً جديداً ضاعف من نشاط البلشفية بشكل حاد داخل مصر وهو وصول الباخرة «بروفينتيرن» . والتي أقيم حولها دوائر للنقاش بشكل مستمر ، وبجميع اللغات . إلا أن صبر الحكومة المصرية بدأ ينفد . وبفضل الجهود التي قام بها «ماركوف» ورفاقه الذين لفتوا الانتباه إلى خطر الدعاية الشيوعية على السلطة القائمة بالبلاد ، فتم نقل «جليزير» إلى فلسطين .

٦٣٢ نفس المرجع السطر ١٤ .
٦٣٣ نفس المرجع السطر ١٥ .

في عام ١٩٢٦ وصل إلى «الإسكندرية» المواطن الأمريكي «إجنادى جريجورفيتش سيمينيوك» . غير أن « ماركوف» الذي إعتبر نفسه إذا ما احتكمنا إلى ما ورد في مذكراته بمثابة الزعيم المناهض للبلشيفية والجاسوسية بمصر ، أكد أن « سينينيوك»: فور رس السفينة بالميناء ،أصبح معروفاً لدى الجميع أن هذا المواطن الأمريكى- الروسي اليهودي الأصل يعد مبعوثا سوفيتياً . و أعرب «إجنادي» الذي كان لديه أوراق رسمية من التجارة الخارجية ، والأسطول التجاري الروسي عن رغبته ، في إنشاء شركة « روسية - تركية».

من الواضح أن الشرطة المصرية حاولت إبعاد «سيمينيوك» عن مصر وذلك بإيعاز من «ماركوف» ، لكن جميع الأدلة التي تثبت ما يقوم به من أعمال «الجاسوسية» لصالح الاتحاد السوفيتي ، تم جمعها عن طريق «تتبع مراسلاته» ( والتي على ما يبدو تم ترتيبها من قبل «ماركوف» . بيد أن جميع الإجراءات التي من خلالها تم جمع الأدلة كانت غير قانونية ولذلك كان من المستحيل القبض عليه وإضطرت السلطات السماح له بالبقاء داخل الأراضي المصرية ثم أعطت الشرطة التوجيهات بجمع الأدلة بطريقة قانونية ، وسرعان ما تبين أن «سيمينيوك» أنشأ في الإسكندرية شبكة عملاء ضخمة التي على حد قول «ماركوف» كانت تضم «ألكسندرا» المولودة في «كيشيناو» . وعن كيفية إنشاء هذا المواطن السوفيتي هذه الشبكة في مصر أوضح المكافح للبلشفية تحديداً وبشكل قطعي أن السوفيت « محترفون» ولديهم من الأساليب التي يعرفونها جيداً والتي تجبر أكثر الأشخاص عناداً إلى التخلي عن عناده ، والرضوخ لهم ولأوامرهم . وفي غضون وقت قصير يتحولون إلى أغنام ولا يكون لديهم أي خيار سوى الطاعة العمياء أو الانتحار» [٦٣٤] .

بعد فترة وجيزة ونتيجة «للإجراءات الفعالة» ، تبين أن ممثل التجارة الخارجية تمكن من إستغلال مطعم أحد اللاجئين يدعى « تارانتشينكو» بمثابة شقة سرية . بعد ذلك أفلح «ماركوف» في طرد « تارانتشينكو» من مصر ونفيه إلى روسيا السوفيتية (ولكن ماركوف تمكن من الحصول على مراسلات تارانتشينكو من مصر للاتحاد السوفيتي) ومن الواضح أن نسبة كبيرة من أبناء الجالية الروسية بالإسكندرية قد ألقوا باللوم على «ماركوف» ، الذي كان السبب في معاناة شخص بريء ، ويتضح من مذكرات «ماركوف» أن هذه الحادثة لم تكن الوحيدة . «وكان في كل مرة يتم القبض على

٦٣٤ نفس المرجع السطر ٥٢ .

أي شخص ممن ينتمون للبلشيفية- طبقاً لإعترافهم - يتم إتهامي بالإستفزاز والوشاية إلى آخره» غير أن الكابتن السابق في جيش المتطوعين، كما أشرنا كان يتبنى مبدأ « الغاية تبرر الوسيلة» ولم يساوره الشك قط في صحة ما يفعله : « وكان دوماً يعتبر أن خطوته صائبة، فالإرهاب المعنوي ربما يكون وسيلة قاسية، ولا يجيزه رجال الأخلاق ولكنه ضرورى جدا في عالم السياسة» [٦٣٥] .

لكن تظل المشكلة الأساسية التي لم يجد لها «ماركوف» حلاً ، ألا وهى ، ضرورة إزاحة «سيمينيوك» من مصر، لكن جواز سفره الأمريكي حال دون ذلك. كان ذلك في الوقت الذي قام فيه «ماركوف» بإنشاء جماعة الأوبرا في الإسكندرية. (وهي منظمة واسعة النطاق لمكافحة الشيوعية العالمية ) . وأصبح لدى الجماعة جريدة قاهرية تسمى «لي ريفاي» طبعت بواسطة الأعضاء، والتي بدورها قد شنت حملة دعائية ضد «سيمنيوك» ، كان من أهم نتائجها ؛ إجباره على مغادرة البلاد ، وذلك في عام ١٩٢٨ .

في منتصف عام ١٩٢٠ بات من الواضح ، وفقاً لوجهة نظر ماركوف ، أن جميع المحاولات التي قامت بها موسكو لإيجاد عمل داخل مصر «قد باءت جميعها بالفشل». وبتحليل هذه الأسباب أشار المهاجر الأبيض إلى أن أسباب هذا الفشل ؛ يرجع إلى أسلوب تغلغل السوفيت إلى مصر، والذي يؤكد أن التنسيق بين العملاء لم يكن موفقاً : «كانت أعداد الشيوعيين من المصريين قليلة، وكانت الشرطة تعرفهم بالاسم، وكانت تضعهم تحت المراقبة باستمرار. وفيما يخص العملاء الأجانب، حتى أولئك الذين يجيدون اللغة العربية كان تواجدهم داخل مصر بلا جدوى ، لأنهم كانوا يعملون فقط في محيط الأوروبيين داخل اثنين أو ثلاث مدن كبيرة» [٦٣٦].

في تلك الفترة جاء الإنقاذ للاتحاد السوفيتي، وذلك كما أكد «ماركوف» ، ذلك بعد أن طرأ تغيير في حالة الأسواق الإقتصادية. خاصة منذ العام ١٩٢٩ ، حيث انخفضت أسعار القطن في الأسواق العالمية، في الوقت الذي كان فيه القطن يمثل السلعة الأساسية للتصدير في مصر. وقام الاتحاد السوفيتي باستغلال هذه الفرصة، عارضاً على مصر توقيع عقد لشراء القطن. وأشار «ماركوف» إلى أن حقيقة هذا العرض تتمثل في وضع أساس قانوني لإرسال عملاء سوفييت جدد إلى مصر .

٦٣٥ نفس المرجع السطر ٤٧ – ٥٠ .
٦٣٦ نفس المرجع السطر ١٢١ .

بالفعل في عام ١٩٢٧ ، وصل إلى هنا ، وفد سوفيتي . كما أكد «ماركوف» ، كان الوفد يضم «أربعة من اليهود وهم : كوللى ، وفيشناكا ، وميرا ، وروخيما ميلتسا ، وبواستطهم» ولأجل التمثيل الشكلي لجمهورية العمال والفلاحين ، أختير هذا الشاب الأشعث المعوج نصف الآمي «فيودر مالاخوف» ، عامل المصنع البسيط . ومن الطريف أنه، كما يظهر لنا من خلال تحليل مذكرات «ماركوف» ، أن المهاجر الأبيض بشكل أو بآخر كانت تربطه صلة بممثلي الاتحاد السوفيتي . وبما أن «مالاخوف» كان الشخص الوحيد الذي ينحدر من أصول روسية ضمن هذا الوفد ، فقد أظهر «ماركوف» نحوه بعضاً من التعاطف . ونعرض عليكم بعض مما كتبه «ماركوف» في رسم شخصية «مالاخوف»: كان يحب زوجته حتى «الموت»، وكان يبدو هذا جلياً في ملامح وجهه ، وكان يطلب منا إذناً بالسماح له بالسفر إلى القاهرة ، وذلك في كل عام وبشكل منتظم ، وعندما يحل عيد «الفصح» وذلك دون علم من يخدم تحت إمرتهم ، للاحتفال بالعيد في الكنيسة اليونانية . وذات مرة سألته : « لماذا تتكبد عناء السفر للإحتفال بالعيد في القاهرة ، بينما كونك شيوعياً لا يجعلك تعترف بالأعياد . لم ينكر «ماركوف» كونه ينتمى إلى الشيوعية بشكل رسميّ ، ولكنه قال حرفياً بالنسبة لعائلتنا ، وبعيداً عن إنتمائى للشيوعية ، نحن دائماً ما نحتفل بالأعياد . ومن الطريف أيضاً ، التعليق التالى لكابتن جيش المتطوعين السابق حول «مالاخوف» : إن جميع خطاباته التي كان يرسلها لوالديه في روسيا ، كانت تحمل الطابع الكلاسيكي ، تماماً مثل الخطابات التي كان يرسلها الجنود على الجبهة لأوطانهم [٦٣٧] . والتي دائماً ما تتكون من عبارات محفوظة ، تتلخص في التحيات القلبية . كان ذلك ، في حقيقة الأمر ، يؤكد أن مراسلات المندوب السوفيتي في مصر كانت مراقبة من قبل الشرطة في الإسكندرية ».

طبقاً لبيانات «ماركوف» ، أن العميل السوفيتي التالى في الإسكندرية – وهو « فاسيلييف»، والذي يعد من الشخصيات الثورية بالدرجة الأولى»، أصبح « رئيس» شركة استيراد المنسوجات . وفي عام ١٩٢٩ قام بتعيين أحد الرسامين الذين يحملون جواز السفر اللاتفي ويدعى «هوجو رودولف» ، للعمل كخبير للقطن . وفي أبريل ١٩٢٩ وعلى أساس تقارير الشرطة تم القبض على جميع العاملين في شركة استيراد النسيج بالإسكندرية. وفور القبض عليهم اتضح أن «هوجو رودلف» - هو نفسه « رودلف بينيس»، شقيق

٦٣٧ نفس المرجع السطر ١٢٧ .

«إدوارد بينيس» ، العميل المقيم للمكتب الخارجي للإدارة الحكومية السياسية في الشرق الأوسط ، والذي يعمل في تركيا . وبدوره وفقاً لمعلومات «ماركوف» ، كان « رودلف بينيس» العميل المقيم للإدارة الحكومية السياسية في مصر[٦٣٨] .

قال «ماركوف» ، إن الاتحاد السوفيتي بادر بمضاعفة مشترياته من القطن المصري بشكل حاد في عام ١٩٣١ ، كي يعزز مواقفه في تلك البلاد . ولأجل ذلك اعتزمت القيادة السوفيتية القيام بهذه العملية التجارية المعقدة ، والتي لم يكتب لها النجاح ، نظراً لقلة الموارد المالية اللازمة لدفع القيمة النقدية لحجز القطن ، ولذلك اعتمد الاتحاد السوفيتي في الحصول على المبلغ المطلوب على بيع الغابات لواحدة من أكبر المؤسسات المصرية . إلا أنه ، كما كتب «ماركوف» ، لم يتمكنوا من توريدها خلال تلك الفترة بالإضافة إلى أن : «مواصفاتها» لم تكن مطابقة لمواصفات السوق المصري . مما تسبب في فضيحة مدوية . ووصل إلى مصر ممثل شركة استيراد النسيج الرفيق «فوروبيف» في محاولة لتلافي الموقف . لكن من الواضح أن «ماركوف» لم يتحرج في الكشف عن الخطاب الذي أرسله « فوروبيف» إلى زوجته ، والذي ينتقد فيه الرفيق ممثل شركة إستيراد النسيج النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي في مصر[٦٣٩] ، وبتعبير آخر، بات من الواضح أن كل خطابات «فوروبيف» الشخصية ، والمراسلات التي تخص أناس آخرون ، كانت تقع في أيدي مسئول شرطة الإسكندرية . على الرغم من ذلك، وكما أكد « ماركوف» أن « فوروبيف» لم يتمكن من تحقيق أي نجاح يذكر لموقف الاتحاد السوفيتي في مصر . وبحلول عام ١٩٣٠ أصبح التأثير السوفيتي محدوداً جداً . يجدر الإشارة إلى أن مذكرات « ماركوف» تعد مصدراً شائعاً ليس فقط لتاريخ السياسة السوفيتية في مصر . ولكن الأحداث التي تضمها بين ثناياها ، تلقي الضوء أيضاً ، على مصير البلشيفيين الأوائل في مصر- والذين من بينهم أسرة « روزنتال» ، والتي ينحدر أفرادها من سلالة يهودية . وكانوا قد هاجروا من روسيا في نهاية القرن التاسع عشر ، كما تناول الحديث عن دورهم الدعائي للأفكار الاشتراكية داخل مصر[٦٤٠] .

٦٣٨ نفس المرجع السطر ١٣٧ . هذه الرواية أوردها «ماركوف» في مذكراته «في خدمة الملك المصري» أنظر : «الأرشيف الشرقى» رقم ٢ ( ٢٤ ) ، صـ ٧٠- ٧٢ .

٦٣٩ نفس المرجع السطر ١٤٧.

٦٤٠ نفس المرجع السطر ١٩- ٣٩ .

هذا وقد انتهى «ماركوف» من كتابة هذا الجزء من مذكراته قبل بداية العام ١٩٣٠، حيث دامت فترة خدمته داخل شرطة الإسكندرية ما يقرب من ثلاثين عاماً ، قدم بعدها استقالته عام ١٩٥٢ . ومن خلال تقييم آراء «ماركوف» تتكون لدينا تلك الحقائق : أنه في عام ١٩٣٠ شغل منصب قائد القسم المصري لمنظمة الروس الفاشيين . ومن الطبيعى ، أن أحداث ثورة ١٩٥٢ ، ووصول الزعيم « جمال عبد الناصر» إلى السلطة ، قد أثرت على حياة المهاجر الأبيض العجوز ، الذي سعى إلى الرحيل من البلاد ، مثله مثل باقي رفاقه الذين قرروا الهجرة ، وبالفعل تمكن « ماركوف» في عام ١٩٥٨ من السفر إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، وتحديداً إلى مدينة «سان فرانسيسكو» ، حيث رحل عن عالمنا في ١٩٦١ وخلال سنوات الهجرة إشتهر . «ماركوف» كمؤلف للقصص وكاتب مقالات ، والخبير الفريد لشئوون الشتات الروسي في بلاد الشرق . وكثير من أعماله خرج إلى النور تحت اسم مستعار وهو «الشرقي» .

ما موقفنا من إبداع «ماركوف» ؟ مما لا شك فيه ، أن «أناتولي لفوفيتش» كان باحثاً متحيزاً . والذي وضع في مقدمة اهتمامه مكافحة البلشيفية . وكموظف في البوليس السياسي بالإسكندرية استمر يقود هذا الصراع الذي بدأه في صفوف جيش المتطوعين، وبلا شك ، إنه سعى إلى تجميل أنشطته ، ورسم صورة له على أنه الزعيم الشجاع داخل خدمة مكافحة البلشيفية السرية في « العاصمة الشمالية» لمصر . والحقيقة الأهم من ذلك ، أن مقالات « ماركوف» التحليلية ، ومذكراته يتم نشرها بصفة مستمرة ضمن مطبوعات الشتات الروسي ، كما قام عديد من المهاجرين إستنادا إلى أعماله بتقييم الأوضاع في بلاد الشرق خلال الفترة من «١٩٢٠-١٩٥٠» .